الندوة التكوينية الخطاب الصوفي في الرواية العربية المعاصرة

يوم 10 جانفي 2024

المحور الأول: الخطاب الصوفي في الرواية العربية (الوجود والحدود)

عنوان المداخلة: بيليوغرافيا الرواية العربية الصوفية

د. لبنى خشة /الرتبة أستاذة محاضرة أ.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص:

الرواية منجز إبداعي يُبنى على التعدد واختلاف الرؤى، من خلال التقاط المادة الأدبية اللغوية التي تنمو أحيانا من فكرة، وفي أحيان كثيرة من حادثة أو قصة، لتسترسل تفاصيلها من الأزمة إلى الانفراج مستجيبة في آن للتوحد والتشعب، والاقتران والتشتت، والاعتياد والغرابة، والواقع والتخييل، والاتصال بالبعد المادي أو الاتجاه نحو البعد الروحي.

ويحيلنا البعد الروحي أو السمو الروحي إلى التصوف الذي يُعدّ رؤية للعالم وتمثيلا له، بل هو رؤية متعددة من منظور مختلف، بعضها كلي شامل، وبعضها جزئي يتشارك مع رؤى أخرى، وتتشابك هذه الرؤى وتتقاطع فيما بينها في نقطة واحدة هي البحث عن الحقيقة؛ ليست الحقيقة الماثلة للعيان، لكنها الحقيقة المخفية.

وتهدف هذه الدراسة للبحث في مسار الرواية العربية الصوفية، من خلال إحصاء بيليوغرافي وقراءة لبعض النماذج الروائية والوقوف عند موضوعاتها، لتطرح الدراسة اشكالا جوهريا؛ لماذا الرواية الصوفية؟ وفيما تتمثل خصوصيتها؟ لتنسل عنه جملة من الأسئلة الفرعية لعل أهمها: لماذا التصوف في الرواية؟ وما الذي يضيفه التصوف للرواية؟ من هم رواد هذا الاتجاه؟ وكيف التقطوا الرمز الصوفي وكيف اعادوا تشكيله؟ ما هي أهم موضوعات الرواية الصوفية؟

الكلمات المفتاحية: الرواية العربية، الرواية الصوفية، بيليوغرافي، دراسة موضوعاتية.

Abstract :

The novel is a creative accomplishment based on multiplicity and diversity of visions, by capturing linguistic literary material that sometimes grows from an idea, often from an incident or story, to send its details from crisis to detente, responding simultaneously to autism and complexity, pairing and fragmentation, habituality and eccentricity, reality and imagination, and connecting to the physical or spiritual dimension.

The spiritual dimension or spirituality refers us to the mysticism that is a vision and a representation of the world. It is a multifaceted vision from a different perspective, some holistic and some partial and shared with other visions. It's not the real thing, but it's the hidden truth.

This study aims to investigate the course of the Sufi Arab narrative, through a bibliographic count, reading of some of the novelistic models and identification of their subjects, to give substantive form to the study; Why the mystical novel? What is its specificity? To give him a series of sub-questions, perhaps the most important of them is: Why the mysticism of the novel? and what does mysticism add to the novel? Who are the pioneers of this trend? How did they pick up the mystical code and how did they remodel it? What are the main themes of the mystical novel?

Keywords: Arabic novel, Sufi novel, Bibliography, thematic study.

المقدمة:

شهدت الرواية العربية في الألفية الثانية والثالثة وجهة كتابية مختلفة، اتسمت بفاعلية التجريب وتعدده، والعودة إلى التراث وتكثيف رموزه والغوص في دقائقه، ومن التراث الحثيث الذي لا ينفك روائيو عصر ما بعد الحداثة عن توظيفه في الروايات العربية المعاصرة التراث الصوفي، الذي توغل في صنع المفارقة السردية بخلق عوالم روائية متباينة وإيصال قيم وأفكار وتجارب وغايات ذاتية أو مجتمعية أو فكرية، حتى تحول هذا اللون من الكتابة الروائية إلى ظاهرة، وجب الوقوف عند تفاصيله.

وقد اهتم الأدب بالتصوف قدر اهتمامه بباقي المجالات، فجل المتصوفة اتخذوا من الأدب، سواء شعرا أو نثرا وسيلة للتعبير عن خوالجهم الفكرية والقلبية، عبر مسار الزمن الإبداعي فظهرت أسماء كثيرة أمثال الحلاج، وابن عربي، والسهروردي، ورابعة العدوية وغيرهم من الأسماء التي لمع نجمها وتركت أثرا غائرا على كف الزمن.

وقد شكّل التراث التصوف مجالا خصبا للأخذ والرد والتحوير والكتابة، سواء من حيث تحديد تعريفه أو كشف منهجه، أو في تبيان شرعيته، فاختلفت التعاريف وتباينت وتعددت، فأصبح لفظ التصوف يدل على عدة معان، بحسب توظيفها، لكن الهمّ الوحيد للمتصوف هو تزكية النفس وتطهيرها وتصفيتها من أدران الجسد ليخرج من ضيق العالم المادي إلى عالم أرحب ممثلا في السمو الروحي والارتقاء إلى معارج الصفاء.

وتشير مسارات الكتابة الروائية أن أول من كتب الرواية الصوفية هو نجيب محفوظ، الذي يمثل تجربة روائية ممتدة زمنياً، وقد تفاعلت هذه التجربة مع الأحداث المختلفة التي مر بها المجتمع المصري خلال القرن العشرين،; في اكثر من رواية أولها رواية (أولاد حارتنا 1959) و(الطريق 1964) و(الحرافيش 1977)، وهذا يمكن أن يعطي صورة جيدة لتفاعل الفن الروائي مع الرؤية الصوفية ومدي وجودها وحركتها في المجتمع خلال هذه الفترة، وتوالت بعده الأعمال الروائية تنشد التراث الصوفي وتجد فيها ملاذا ومهربا من البعد المادي بغية الاتجاه نحو البعد

الروحي، لتسترسل تفاصيل الروايات من الأزمة إلى الانفراج مستجيبة في آن للتوحد والتشعب، والاقتران والتشتت، والاعتياد والغرابة، والواقع والتخييل، والراحة والسمو.

وتهدف هذه الدراسة للبحث في مسار الرواية العربية الصوفية، من خلال إحصاء بيليوغرافي وقراءة موضوعاتية لبعض النماذج الروائية والوقوف عند خصوصياتها، لتطرح الدراسة اشكالا جوهريا؛ لماذا الرواية الصوفية؟ وفيما تتمثل خصوصيتها؟ لتنسل عنه جملة من الأسئلة الفرعية لعل أهمها: ما هي الرواية الصوفية؟ لماذا التصوف في الرواية؟ ما هي أقسامه الرواية الصوفية أو أنواعها؟ من أول من كتب الرواية الصوفية؟ ما هي البلدان العربية التي انفرد مبدعوها بكتابة الرواية الصوفية؟ ما الذي يضيفه التصوف للرواية؟ من هم رواد هذا الاتجاه؟ وكيف التقطوا الرمز الصوفي وكيف اعادوا تشكيله؟

1-الرواية الصوفية المفهوم والحدود:

الرواية الصوفية نوع أدبي ينتمي إلى جنس السردي الروائي «تركز على الروحي وما يتعلق بصلة الإنسان بالكون الرحب والإله المتعالي، وبين الواقع بتعقيداته، تطرح الكثير من الأسئلة الصعبة التي تدور حول حيرة الإنسان الأبدية وبحثه المحموم عن إجابات لكل أسئلته. ظهرت وازدهرت فى مصر والعالم العربي، وباتت إحدى علامات المشهد الروائي البارزة (...) تستند على تراث عريق ينهل من تجارب الحلاج وابن عربى والنفرى ورابعة العدوية وغيرهم الكثير، وبدأت تدخل العالم الروائي العربي من بوابة نجيب محفوظ واكتملت فنيا على يد جمال الغيطاني، وتشهد حاليا ازدهارا في مصر والعالم العربي يبشر بالمزيد من الأعمال الناضجة على مستوى المتخيل والتجريب»[1]

ازدهرت كتابة الرواية الصوفية عربيا منذ ثمانينيات القرن العشرين، بداية من مصر مع اشتداد الحرب على الإرهاب ومواجهة خطاب العنف والتشدد، فجاء الالتجاء الروائي للعالم الصوفي بما يمثله من احترام للتنوع والقبول بالاختلاف والانشغال بالذات على التدخل في أمور الآخرين، والتركيز على الحب الإلهي ومحبة البشر باعتبارهم مخلوقات الله، والبعد عن الكراهية وتكريس قيم التسامح والانفتاح على الآخر، فضلا عن مواجهة دعوات التغريب في الأدب العربي

[1] حسن حافظ: الرواية الصوفية تزدهر في زمن المادية،
https://akhbarelyom.com/news/newdetails/3431754/1

بالعودة إلى التراث للنهل منه، فهل الرواية الصوفية نوع واحد او هي تعددية متباينة تخلق عوالم متعددة؟

2-أقسام الرواية الصوفية:

شهدت الرواية الصوفية اهتماما مثيرا من النقاد والباحثين، رغبة في فهم خصوصيتها وتحديد مكوناتها وأقسامها، فتعددت الأنواع والاقسام فظهر من يجمل الرواية الصوفية من دون تحديد ولا تمييز، كما ظهر من يفرق بين **(الرواية الصوفية)** و**(الرواية العرفانية)** على أساس أن ما ينتمي إلى الأولى **(الرواية الصوفية)** يتم فيه توظيف شخصية تراثية صوفية ما وتقديمها بطريقة ريبورتاجية أو تعريفية؛ لغايات تعليمية أو دوغمائية* أو دفاعية.

وما ينتمي إلى الثانية **(الرواية العرفانية)** يتم فيه توظيف الأفكار الصوفية ومصطلحاتها ومفاهيمها وترميزاتها وتقنياتها؛ لغايات مماثلة أو مغايرة.

هناك من يجعلها تقسيمات آخرى يوزع هذا النوع من الروايات المستلهمة للتصوف إلى: «**(رواية سلوكية)** يظهر فيها التصوف مجسداً في شخصية صوفية ما أو في ممارسات طقوسية تسلك نهج طريقة أو مدرسة صوفية ما في التعبد، و**(رواية عرفانية)** تغرق في تقديم فلسفات التصوف ومفاهيمه ومصطلحاته التي يعرف القارئ بها التصوف ولا يعيشه أو يستشعر تجربته (...) القسم الثالث الذي نقترح تسميته بـ **(رواية التجربة الصوفية)** التي تستطيع أن تدخل القارئ في فرادة التجربة الصوفية المسرودة وتجعله يتخيل أنه فهمها واستشعر بها وعاشها دون أن يكون على مسافة منها»[1]

2-بيليوغرافيا الرواية العربية الصوفية:

الإقليم	البلد	المؤلف	عنوان الرواية	دار النشر	السنة	الطبعة
الخليج	**السعودية**	**محمد حسن**	موت صغير	دار الساقي، بيروت،	2016	ط1

* **الدغمائية** هي حالة من الجمود الفكري، حيث يتعصب فيها الشخص لأفكارِه الخاصة لدرجة رفضِه الاطلاع على الأفكار المخالفة، وإن ظهرت لهُ الدلائل التي تثبت لهُ أن أفكارهُ خاطئة، سيحاربها بكل ما أوتي من قوة، ويصارع من أجل إثبات صحة أفكاره.

[1] محمد الكمامي: الرواية والصوفية؛ احمد السري في "ظل العاشقة"
https://almadaniyamag.com/ar/2021/03/01/novel-and-sufism

العربي		**علوان**		لبنان		
	الامارات	**عادل خازم (1964-)**	الظل الأبيض	المكتب المصري الحديث	2017	ط1
المشرق العربي	**مصر**	**نجيب محفوظ**	أولاد حارتنا (1959، ط1)	دار الشروق	2006	ط5
			اللص والكلاب (1961، ط1)	دار مصر للطباعة /طبعة مؤسسة هنداوي (ط1)	2022	
			الطريق (1964، ط1)	دار الشروق (ط1)	2006	
			قلب الليل (1975، ط1)	دار الشروق (ط1)	2006	ط9
			ملحمة الحرافيش (1977، ط1)	دار مصر للطباعة/ دار الشروق (ط1)	2006	
			أفراح القبة (1981، ط1)	دار الشروق (ط1)	2006	
			رحلة ابن فطومة (1983، ط1)	دار الشروق(ط1)	2006	
		عبد الحكيم قاسم(1934-1990)	أيام الانسان السبعة	الهيئة المصرية العامة للكتاب	1969	ط1
		بهاء طاهر (1935-2022)	نقطة نور	روايات الهلال	2000	ط1
		أحمد شمس الدين الحجاجي (1935)	سيرة الشيخ نور الدين	المجلس الأعلى للثقافة	2002	ط1
		محمود الورواري	مدد	الدار المصرية اللبنانية	2014	ط1
		أحمد عبد	ترنيمة سلام	نون للنشر والتوزيع	2013	ط1

		المجيد			2014	ط2
		هدى أنور	صوفي	دار ليان للنشر والتوزيع	2016	ط1
		أحمد عبد المجيد	عشق	دار نون للشر والتوزيع	2015	ط1
		عمار علي حسن	شجرة العابد	–دار الشروق	– 2011	–ط1
			–مقام الشوق (تجليات صوفي)	المصرية اللبنانية للنشر والتوزيع.	2022	ط1
		أحمد بهجت (1932– 2011)	الأمير والدراويش؛ ترانيم صوفية (128 ص)	دار الهدى	1996	ط1
		مأمون الحجاجي (1960– 2015)	صحراء المرتدين (128 ص)	دار كشيدة للنشر التوزيع، القاهرة، مصر.	2016	ط1
		أحمد القرملاوي (1978–)	أمطار صيفية (220 ص)	الدار العربية للكتاب	2017	ط1
		سيد عبد العال حسان	نداء الروح	دار حواديث للنشر والتوزيع	2019	ط1
		يوسف زيدان (1958–)	عزازيل	دار الشروق	2008	ط1/ ط28 2014
		جمال الغيطاني	التجليات؛ الاسفار الثلاثة	دار الشروق	1990	ط1
	سوريا	**إبراهيم الجبين**	الخميادو	دار الفارابي، إسطنبول، تركيا.	2022	ط1
	الأردن	**يحيى القيسي**	أبناء السماء	المؤسسة العربية للدراسات والنشر،	2010	ط1

		(1963–)		بيروت، لبنان.		
			الفردوس المحرم	المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.	2015	ط1
	لبنان	**ادوارد الخراط**	رامة والتنين (1980)	دار ومطابع المستقبل، الإسكندرية، مصر.	1990 1993	ط1 ط3
			يقين العطش	دار شرقيات للنشر والتوزيع	1996	ط1
			مخلوقات الأشواق الطائرة	الهيئة المصرية العامة للكتاب	1991	ط1
	فلسطين	أحمد رفيق عوض (1960–)	–الصوفي والقصر	دار الشروق للنشر والتوزيع	2017	ط1
	العراق	**سليم مطر كامل** (1965)	التوأم المفقود (170 ص)	المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.	2000	ط1
	اليمن	**أحمد السري**	الظل والعاشقة	دار يسطرون للطباعة والنشر بالقاهرة	2019	ط1
		أحمد قاسم العريقي	باهوت يفرس	(الفائزة مؤخرا بجائزة محمد عبد الولي في اليمن)	2023	ط1
		وليد دماج (1973–2022)	ظلال الجفر	أرشيف اليمن	2018	ط1
	السودان	**حمور زيادة**	شوق الدرويش	دار العين للنشر	2014	ط1
المغرب الأقصى	**تونس**	**محمد بليغ التركي**	حامل التابوت	دار سارة للنشر	2023	ط1
		محمد الباردي	ديوان المواجع	دار الحوار لنشر والتوزيع	2016	ط1
	الجزائر	**–الطاهر وطّار**	–الحوات والقصر	المؤسسة الوطني	1980	ط1

		(1936-2010)		للكتاب،الجزائر	1984	ط2
			-الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي.	موفيم، الجزائر	2004	ط1
			الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء	موفيم، الجزائر	2007	ط1
		-عز الدين جلاجي	عشق مقدنس.	دار المنتهى للنشر والتوزيع، الجزائر.	2020	ط1
		-ربيعة جلطي	قوارير شارع جميلة بوحيرد.	منشورات الاختلاف، الجزائر.	2019	ط1
		محمد مفلاح	سفر السالكين	دار الكوثر للنشر والتوزيع، الجزائر.	2014	ط1
		عبد الرشيد هميسي	ما تشتهيه الروح	الرابطة الولائية للفكر والابداع، الوادي، الجزائر	2016	ط1
		-عبد القادر عميش	-بياض اليقين	دار خيال، الجزائر.	2022	ط1
		لحبيب السايح	زهوة	دار الحكمة، الجزائر.	2011	ط1
			تلك المحبة	فضاءات للنشر والتوزيع/ ميم للنشر والتوزيع	2016	
			تماسخت دم النسيان	دار القصبة، الجزائر.	2003	ط1
	المغرب	**شعيب حليفي**	زمن الشاوية	التنوخي للطباعة والنشر.	1999	ط1
		بن سالم حميش	مجنون الحكم.	أفاق للكتابة /الهيئة العامة لقصور الثقافة	1990 1998	ط1 ط2
			هذا الأندلسي	دار الآداب، بيروت	2007	ط1
		مصطفى لغتيري (-1965)	الأطلس التائه.	دار الآداب، بيروت.	2015	ط1
		موليم	مدارج الليلة الموعودة.	مطابع المغرب المتحدة	1993	ط1

		العروسي				
		أحمد توفيق	جارات أبي موسى	دار القبة الزرقاء	2000	ط2
		سلاّم أحمد إدريسو	شجرة المريد؛ بئر السيد.	الاحمدية، الدار البيضاء، المغرب	1998	ط1
		عبد الإله بن عرفة (1962-)	جبل قاف.	-دار النجاح الجديد، الدار البيضاء - المغرب.	2002	ط1
			بلاد صاد.	-دار الكتب بيروت، لبنان.	2009	ط1
			طواسين الغزالي.	-دار الآداب، بيروت، لبنان.	2011	ط1
			الجنيد؛ ألم المعرفة.	- دار الآداب، بيروت، لبنان.	2017	ط1
	ليبيا	إبراهيم الكوني	التبر	دار التنوير للطباعة والنشر	1992	ط2
			من أساطير الصحراء	دار الجنوب للنشر، تونس	2006	ط1
		عبد الله لغزال	التابوت	دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة. دار الشروق، بمصراتة دار الفرجاني، طرابلس.	2004 2005 2009	ط1 ط2 ط3
	موريتانيا	موسى ولد ابنو	مدينة الرياح	دار الأداب، بيروت، لبنان	1996	ط1
			الحب المستحيل	دار الأداب، بيروت، لبنان	1999	ط1
		أحمد فال ولد الدين	الشيباني	دار التنوير	2019	ط1
		محمد عبد اللطيف	كتاب الردة (267 ص)	دار مدارك	2018	ط1

		عبد الله ولد محمدي	طيور النبع	دار جداول	2017	ط1

3-موضوعات الرواية الصوفية:

تلتقي التجربة الصوفية والتجربة الأدبية وتتقاطع عند منبع واحد؛ وهو الروح والوجدان والشعور وعند أداة التعبير التي هي اللغة الرامزة، أو اللغة الإيحائية، أما الغايات فقد تتفق وقد تختلف. وفي دراسة المنبع والأداة تكمن الصعوبات التي واجهها الفكر الإنساني عبر العصور، غير أن الصعوبة تزداد عندما تواجه الدراسة توظيف الرمزية الأدبية للرمزية الصوفية؛ أي عندما تواجه عملية معقدة من التأويل: تأويل الصوفية للوجود الذي هو (كلمات الله التي لا تنفد)، وتأويل الأدب لهذا التأويل الصوفي، وقد تباينت موضوعات الرواية الصوفية وطريقة تركيزها على هذه الخصوصية فمنها ما ركزت على:

- **توظيف شخصية تراثية صوفية** ما وتقديمها بطريقة ريبورتاجية أو تعريفية؛ لغايات تعليمية أو فكانت بذلك **رواية صوفية.**

-ومنها ما ركزت على **توظيف الأفكار الصوفية ومصطلحاتها** ومفاهيمها وترميزاتها وتقنياتها؛ لغايات تغرق في تقديم فلسفات التصوف ومفاهيمه، فكانت **رواية عرفانية.**

-ومنها ما يظهر **التصوف فيها مجسدًا في شخصية صوفية** ما أو في ممارسات طقوسية تسلك نهج طريقة أو مدرسة صوفية ما في التعبد، فكانت بذلك **رواية سلوكية.**

-ومنها التي تستطيع أن **تدخل القارئ في فرادة التجربة الصوفية المسرودة** وتجعله يتخيل أنه فهمها واستشعر بها ويعيشها دون أن يكون على مسافة منها، فكانت **رواية التجربة الصوفية.**

فما هي أهم موضوعات الرواية الصوفية؟ وكيف تباينت أنواعها؟

1.3-المعجم واللغة الصوفية:

أو ما يطالع القارئ للرواية الصوفية المعجم الصوفي واللغة المضمخة بتعابير صوفية ذلك لأن« المعجم الصوفي واحد من المعاجم الثرية التي تحمل زخما لغويا وشعوريا قد يزود مطلعه الفاهم بميراث ضخم من المفردات والتصورات الصوفية، خرج بعض المتعمقين في القراءات الصوفية بذلك الميراث وحاولوا إعادة بناء مفرداته اللغوية والتصويرية كنوع من إحياء التراث

المعرفي، وقد عاملوا التصوف في أعمالهم كأداة وغاية وربما دفعتهم الأداة والغاية إلى الابتعاد عن الحبكة المنطقية أو الحالة الدرامية؛ وذلك لتصورهم أن الموتيفة الصوفية غاية بحد ذاتها »[1]، ومن بين الروايات التي احتفت بالمعجم واللغة الصوفية رواية **"التجليات؛ الأسفار الثلاثة" لجمال الغيطاني،** وابتداء من العنوان "**التجليات**" تطالعنا أول عتبة لفظية لإحالة صوفية خالصة، ففي لحظة سماعه فإن الدلالة الصوفية هي أول ما يلح على الذهن؛ لتعلن الرواية بذلك صراحة انتمائها إلى عالم المصنفات الصوفية، فالتجلي (Theophany) يعني الظهور؛ وهو في المعجم العلمي للمعتقدات الدينية يعني «ظهور الله بشكل مرئي أو ظهور شيء خاطف للإله لأحد الأفراد»[2]، «ولأن ظهور الإله ميزة خاصة للخاصة فقد احتاج ذلك الظهور إلى القلوب لا الأعين فكان التجلي «ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب»[3]، لفظ "التجليات" جمع، والجمع تعدد، والفيض فيوضات وهو بداية لحديثه عن الاسفار الثلاثة التي جمع فيها بين الولي والمريد والطريق او السفر .

2.3-الشخصية الصوفية:

رواية عادل خزام (الظل الأبيض 2013) (وقد جعل الكاتب للرواية عنواناً فرعياً شارحاً هو (تجربة في الاستنارة). فالرواية **ترسم سبيلاً روحياً -صوفياً سلكه راويتها وبطلها الصحفي الإماراتي إبراهيم،** عبر اللحاق بالمرأة التي لا تموت مثلنا، وتتجول خارج الزمان والمكان. إنها امرأة الظل الأبيض (نور) المتزوجة من (برهان) الذي انخرط صغيراً في حلقات صوفية في سوريا، وخبر المعتكفات الهندية الروحية، ويمارس التدريبات الروحية من أندونيسيا إلى الإمارات، حيث سيحضر إبراهيم ونور في (الفجيرة) مع جمع من المعلمين والمتنورين القادمين من بلدان شتى، للقاء مع (المعلم الكبير) تبدو رواية عادل خزام عاكفةً على تقديم تجربة روحية صوفية، ولكن تبشيريتها تظل جهيرة.

---

[1] زينب محمد عبد الحميد: التصوف في الرواية المصرية المعاصرة، الهيئة المصرية العام للكتاب، مصر، ط1، 2018، ص33

[2] المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العام للكتاب، مصر، 2007، ص630

[3] القاشاني (كمال الدين عبد الرزاق): اصطلاحات الصوفية، تحقيق د. محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العام للكتاب، القاهرة، مصر، 2008، ص155

.«في فلك أبيض من الأفكار التي تبثها نور ما تخاطب به إبراهيم: أنت مجرد لاعب في شبكة أفكار، لا توجد فكرة حقيقية. وفي ورقة على السرير تترى الأفكار الصوفية :أنت لست أنت، الصمت أصل الكون، الروح لا تفنى، هدف وجودك هو إدراك ذاتك الخالدة. وقد صنّف إبراهيم مجتمع الأصدقاء والزملاء، حيث يعيش قبل الالتحاق بنور، على أنه مجتمع القطيع البشري، وطابور الخنوع، حتى إذا أنجز الرحلة إلى أعماقه في واحد وعشرين يوماً – هي جلسات التأمل الصامت التي تنظمها نور وزوجها – بات لا يتألم من شيء، وبلغ (الكشف) في ختام تجربة الاستنارة، فتنعم بنعمة التلاشي والتحول إلى نثار في فلك أبيض، وتفتحت له وفيه عين البصيرة مثل زهرة في أعلى قمة جبل النور »[1].

أ- تقاطعات الاسم الصوفي:

لدلالة الاسم عند الصوفية دلالة مميزة فالنور من تونس رواية محمد الباردي (ديوان المواجع – 2016) والتي تقدم **شخصية نور المتصوفة** الملازمة لضريح (مولاي عباس)، فنور الرابعة – بعد نور بدوي الجبل، ونور يوسف زيدان، ونور عادل خزام – تحجبت وتصوفت بعدما رفضت سبيل الإخوان المسلمين الذين أرسلوا إليها يريدونها أختاً فأجابت: «أنتم تبحثون عن طريق السلطة وأنا أبحث عن طريق الله». وكانت نور قد خابت في عشقها لحمدي رجب، ثم في زواجها، فالتحقت بمزار سيدي عباس نشداناً للتوازن الروحي، ولتتحرر من جسدها. وبعد زواجها من شيخ الطريقة ستصير الشيخة نور وسيصير لها مريداتها. كما ستتولى المزار وتشهد (الحضرة)، وسيزداد المريدون بعد الانتفاضة التونسية 2011.

3.3- الصوفية بين الأعلام والرحلة:

شكل التصوف وأعلامه إلهام العديد من الكتاب، وأسال مداد أقلامهم على المستوى العربي، وفي هذا الاتساع الذي نحاول تضييقه نذكر رواية (موت صغير) للكاتب السعودي محمد حسن علوان الذي «مزج الخيال بالواقع، وسافر بنا من خلال **سيرة محيي الدين بن عربي منذ ولادته في الأندلس حتى وفاته في دمشق**، مرورا بمراكش، القاهرة، حلب، مكة، بغداد، ملطية، دمشق، وبين كل رحلة ورحلة هناك حكاية، هناك وتد في الانتظار، الرحلة لم تخل من حب

[1] الصوفية موسم الهجرة إلى الغيبيات https://www.aletihad.ae/article/48498/2016

وعشق، ارتباط وفراق، مست الجانب الإنساني والذاتي لابن عربي، وسعيه للبحث والعلم والزهد والتصوف، فهو ولي من أولياء الله، وخادم من خدامه الأتقياء، لا يخشى في قوله حاكما ولا واليا، فقد كان في خدمة رسالته وعلمه، وبيّن مواقفه من مفاهيم الحياة والموت والدين»[1]

وإلى المغربي الأقصى نجد رواية مصطفى لغتيري (الأطلسي التائه) «التي سلط فيها الضوء على سيرة حياة واحد من أشهر رجال التصوف في المغرب، هو الولي الصالح أبي يعزى الهسكوري، الذي عرف عند العامة باسم مولاي بوعزة، انطلاقا من جبال الأطلس، حيث بدأت رحلته بحثا عن ذاته والحلقة المفقودة في داخله. الرحلة كانت مشوقة وممتعة، ونحن نتابع حكاية أبي يعزى مع جدته ووالديه ورحلته التي بدأت برعي الغنم، والبحث عن الأعشاب الطبية، التي تلقى معرفتها وخبرتها من جدته»[2]

فالعديد من الروائيين استثمروا قصص قدماء المتصوفة، من أجل تحويلها إلى مادة حكائية، بنوا عليها خيالاتهم ونسجوا بها خيوط تجاربهم، التي ألهمتهم لما فيها من اختلاف، ذلك أن الصوفية أحد المذاهب الإسلامية، التي تقوم على أصول وقواعد شرعية ومنضبطة وهي منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله، أي الوصول إلى معرفته والعلم به، عن طريق الاجتهاد في العبادات، واجتناب المنهيات، يستمد هذا المنهج أصوله وفروعه من القرآن والسنة النبوية واجتهاد العلماء، فهو علم كعلم الفقه له مذاهبه ومدارسه ومجتهدوه وأئمته. والتاريخ الإسلامي زاخر بعلماء مسلمين انتسبوا للتصوف مثل: محيي الدين بن عربي، وشمس التبريزي، وجلال الدين الرومي الذين تبنوا حركة التصوف انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري، بشكل فردي تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت بعد ذلك، حتى صارت طرقا مميزة متنوعة معروفة باسم الفرق الصوفية.

4.3-الكرامة الصوفية:

[1] مصطفى لغتيري: تجليات التصوف في المتخيل الروائي https://www.alquds.co.uk/

[2] المرجع نفسه https://www.alquds.co.uk/

«تقوم الكرامة على شكلين أدبيين:

الشكل الأول البسيط: راو –عقدة –مدد

هذا الشكل هو الشكل المتواتر والبسيط الذي يقع فيه شخص ما تحت أزمة معينة، فيجد المدد أو الحل على يد ولي. هذا الشكل البسيط يتكرر كثيرًا وقد يأتي الراوي غالبا نكرة ويستند في سلسلة ملأي بالنكرات على شخصية مشهورة تقحم على النص لترفع من شأن النص وحتى يتجاوز المتلقي عن الرواة النكرات، لكن ذلك يتم غالبا في تناقض مع التاريخ إذ تأتي هذه دون سياقها الزمني أو المكاني (...)

الشكل الثاني المعقد:

ويختلف عن الشكل الأول بنية وشكلا إذ يأتي على النحو التالي:

راو –تمهيد –عقدة –تحول تصاعدي –عقدة –مدد متوقع –مدد غير متوقع، وهي غالبا ما تكون على الشكل التالي: »[1]

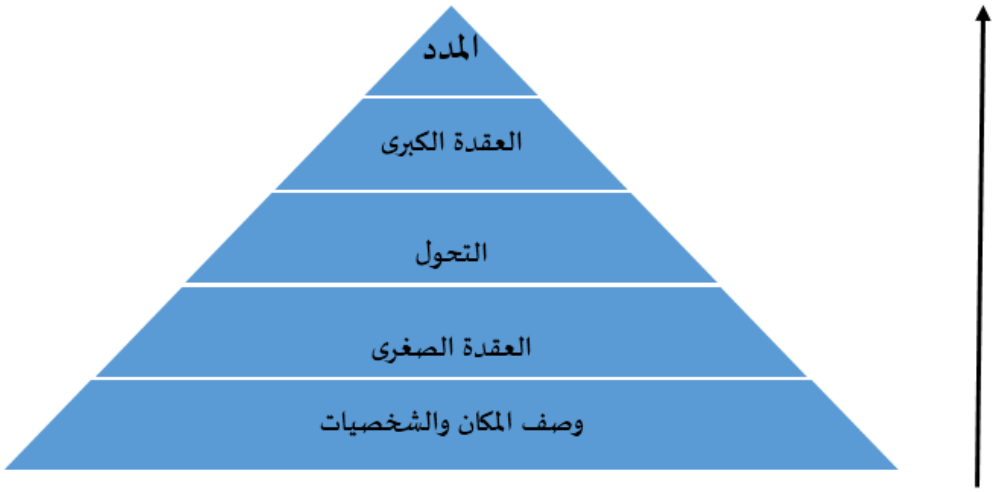

وهذا الشكل متكرر، وينبع "التحول" من محاولة تمديد الحدث في الكرامة حتى تصل على ذروة العقدة ومن هنا يأتي المدد أو "الحل" الذي لا يخضع إلى تفسير علمي لكنه يقني عند المتصوفة. ونجد النموذجين ممثلين في رواية تجليات الاسفار الثلاثة لجمال الغيطاني.

[1] محمد أبو الفضل بدران: أدبيات الكرامة الصوفية دراسة في الشكل والمضمون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2022، ص–ص63–64

6.3-المكان الصوفي:

وتركز كلٌ من الرواية الليبية والموريتانية على المكان، والمكان الأثير في هذه الروايات هي الصحراء، فالصحراء فضاء مغايرٌ لما ألفته الكتابة، حملت بين كثبانها ضبابية الرؤية... تختفي فيها معالم الطريق، وتتجلى أبعاد الضياع في خصوصية المكان بكل ما يحمله من دلالة رمزية، ومن أبرز الابعاد التي ترتكز عليها الرواية الصحراوية البعد الصوفي، فنجد في روايات إبراهيم الكوني، كونا يحلق بنا في سماء الصوفية، فالصحراء مكان للتأمل والتعبد، لا يمكن ان عكس إلاّ وحدانية الله، ومن يضيع طريقه في الصحراء لن يجدها إلاّ بدليل او كرامة من الكرامات

فنجد «في رواية **"القبر المجهول" لأحمد بن عبد القادر** قصة الصراع التقليدي بين المكونات الاجتماعية الثلاث للمجمع الموريتاني: العرب أرباب السيف والبندقية، والزوايا سدنة الدين وحماته، والطبقات الأخرى من فنانين وصناع تقليديين»[1]

[1] الحاج ولد إبراهيم: الرواية الموريتانية؛ إمكانيات السرد الضائعة، https://www.academia.edu/37881000

الخاتمة:

شهدت الرواية العربية في عصر ما بعد الحداثة انفتاحا كتابيا مسّ كل مناحي الحياة، فكتب روائيو العصر جوانب الحياة المتعددة والمتباينة من دون أن يهملوا الجوانب التراثية والتخييلية في أعمال متتالية وأحيانا في عمل واحد.

–اسفرت الدراسة البيبلوغرافية عن زخم روائي مثير للاهتمام، فقد مكننا البحث من الوصول إلى أكثر من مئة (100) رواية عربية صوفية.

– اهتمت الرواية العربية بالتراث الصوفي؛ مصطلحا أو أعلاما أو طريقا، من خلال التركيز على مصطلحات الصوفية في العنوان أو الحبكة أو توظيف الشخصيات أو الأمكنة من دون أن تهمل المعجم واللغة الصوفية.

–جسد الروائيون العرب الرواية الصوفية من خلال التركيز على التراث الصوفي في كتاباتهم من خلال مفاهيم لفظ "التصوف" بتعدد تحديداتها ومصطلحاتها وأبعادها وأعلامها وأمكنتها، فكتبوا عن أهل الصفة الذين يعيشون على الكفاف والتقشف وشظف العيش، ويزهدون في الحياة الدنيا، وكتبوا عن التصوف الذي يحمل معنى الحكمة، كتبوا عن التجربة الروحانية والوجدانية التي يعيشها السالك المسافر إلى ملكوت الحضرة الإلهية والذات الربانية، من أجل اللقاء بها وصالا وعشقا، ومن يهملوا الولي والمريد، وكتبوا عن التحلية والتخلية والتجلي، ووضعوا نصب أقلامهم أن التصوف محبة الله والفناء فيه، والاتحاد به، كشفا وتجليا من أجل الانتشاء بالأنوار الربانية فجعلوا شخصياتها فيضا من نور وارتقاء.

–اغتنت جماليات الحداثة الروائية باشتغال الرواية بالصوفية، سواء تعلق الأمر بالتخييل أم بالحفر في التراث أم باللغة التي تضج بالمصطلحات الرمزية والإحالة، دون أن تغفل أن من ذلك الاشتغال ما كان تحت وطأة الهزائم السياسية والاضطرابات الفكرية والاجتماعية، والعكوف على الذات وعلى الغيبيات، وما يمتد من اشعاع نّوراني بذكر للشخصيات بأسمائها أو بالسفر إلى عمق الصوفية.

قائمة المصادر والمراجع:

1-زينب محمد عبد الحميد: التصوف في الرواية المصرية المعاصرة، الهيئة المصرية العام للكتاب، مصر، ط1، 2018،

2-القاشاني (كمال الدين عبد الرزاق): اصطلاحات الصوفية، تحقيق د. محمد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصرية العام للكتاب، القاهرة، مصر، 2008، ص155

3-محمد أبو الفضل بدران: أدبيات الكرامة الصوفية دراسة في الشكل والمضمون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط1، 2022،

المعاجم:

4-المعجم العلمي للمعتقدات الدينية، تعريب وتحرير: سعد الفيشاوي، مراجعة: عبد الرحمن الشيخ، الهيئة المصرية العام للكتاب، مصر، 2007، ص630

المواقع الإلكترونية

5-الصوفية موسم الهجرة إلى الغيبيات

https://www.aletihad.ae/article/48498/2016

6-حسن حافظ: الرواية الصوفية تزدهر في زمن المادية،

https://akhbarelyom.com/news/newdetails/3431754/1

7-مصطفى لغتيري: تجليات التصوف في المتخيل الروائي/https://www.alquds.co.uk

8-الحاج ولد إبراهيم: الرواية الموريتانية؛ إمكانيات السرد الضائعة،

https://www.academia.edu/37881000